ابن طُفيل

(500 ـ 581 هـ = 1106 ـ 1185م)

حياته:

«ابن طُفيل» هو: أبو بكر، محمَّدُ بنُ عبد الملك بن طُفيل.

ولد في (غرناطةَ)، اشتهر بالطبِّ، والرياضيات، والفلسفة، والشعر.

قضى أكثرَ أيام حياته يُدرِّسُ ويُطبِّبُ؛ كان طبيباً لـ: «أبي يعقوبَ يوسفَ المنصور» ثاني خلفاء الموحِّدين، جمع له في بلاطه مشاهيرَ العلماء، منهم: «ابنُ رشد» الذي قدَّمه ليكون طبيباً لـ: «أبي يعقوبَ يوسفَ المنصور»، وأوكلَ إليه شَرحَ كُتب «أرسطو».

وبعد وفاة «أبي يعقوب يوسف المنصور» بقي «ابن طُفيل» يتمتَّعُ بمنزلته ومكانته في بلاط الموحِّدين ولم يَعِشْ بعد ذلك إلاَّ عاماً واحداً، ثم توفِّي في «مرّاكش» عام 581 هـ = 1185م.

خصائصه وشخصيته:

مال «ابنُ طُفيل» إلى مخالطة الناس في أول حياته، وتولَّى أعمالَ الدولة في القضاء والوزارة.

كان من مشاهير أهل العلم والأدب، كان ديّناً تَقيّاً، وكان علمُهُ واسعاً، وخاصَّةً من الناحية الطبيعية (علم الحياة).

اطَّلع على كثير مما خلَّفه اليونانُ، والعربُ، والمسلمونَ من العلوم والآثار الفلسفية اطّلاع بصير ناقد، من أجل ذلك كان قديراً على الموازنة بين الآراء والمفاضلة بينها.

أُعجِب «ابنُ طُفيل» بـ: «ابن سينا»، وأخذ عنه الحكمةَ المشرقيّةَ، وكان مُعجباً أيضاً بـ: «ابنِ باجَّه».

حاول «ابن طُفيل» أن يوجد نظاماً فلسفياً يقصُّه خطوة خطوة، وبيَّن كيف أن الإنسان يتدرَّج بالتأمُّل والفكر في المعرفة من الإحاطة بما حوله من عالَم المادَّة حتى يستطيعَ أن يتصلَ من طريق العقل بالله تعالى، ولكنه عَجزَ عن الاتصال بالله تعالى عن طريق العقل؛ فانقلب إلى التصوُّف ليعرفَ به اللهَ تعالى، فانقلب صُوفياً، وعرفَ اللهَ تعالى من طريق القلب.

آثاره:

ذكر المؤرِّخون تصانيفَ كثيرةً لـ: «ابن طُفيل» ومؤلَّفات، منها:

تصانيفُ ومؤلّفاتٌ في: الفلسفة ـ والإلهيات ـ والطّبيعيات ـ ورسالة في النفس ـ ورسائلُ بينَه وبين «ابن رشد» في الطِّبِّ، وغير ذلك. ولكن لم يَصل من مؤلَّفاته سوى رسالة (حي بن يقظان)؛ التي تُرجمت إلى لغات كثيرة، وكأنَّ هذه الرسالةَ خلاصةُ آراء «ابنِ طُفيل» في الفلسفة، وإنّ مخطوطةَ (أسرار الحِكمة المَشرقيَّة) ليست إلاَّ قسماً من رسالةَ (حي بن يقظان)، التي استخلَصَها من أقوال الشَّيخ الرَّئيس «ابن سينا» بناءً على طلب أحد أصدقاء «ابن طُفيل»؛ الذي طلب منه أن يُلخِّصَ له فلسفةَ أهل المشرق، فلبَّى «ابنُ طُفيل» دعوةَ صَديقه، وكتب رسالةَ (حي بن يقظان)، وقال: ((بأنَّه من أراد الحقَّ فعليه بطلب الحكمة والجدِّ في الوصول إليها))، وأشار إلى أنَّ الهدف من ذلك هو السعادةُ التي تتحقَّقُ بالاتصال بالعقل الفعّال عن طريق العقل.

وقال: ((إنَّ هناك طريقين لبُلُوغ السعادة القُصوى، هما:

1ـ طريق المتصوِّفين: التي انتصر لها «الغزالي» وأنكرَها «ابنُ الطُّفيل».

2ـ طريق النظر والتأمُّل: التي دَرجَ عليها «الفارابيُّ» وتلامذتُهُ، وأوضح بعضَ خطوطها «ابنُ باجَّه»، وزادها وضوحاً وتفصيلاً «ابنُ طُفيل».

رسالة حيّ بن يقظان:

يُعالج «ابن طُفيل» في هذه الرسالة مُعضلةً شَغلَتْ بالَ الفلاسفة المسلمين، ألاَ وهيَ: صِلةُ الإنسان بالعقل الفعَّال، وبالله تعالى.

أمَّا طريقة معالجته لهذه القضية فكانت: بأنَّ «ابنَ طُفيل» وَصفَ لنا شخصاً وَحداً، لم يَعرف بيئةً اجتماعيةً، ولم يَعش فيها، ولم يتأثَّر بعاداتها، ثمَّ بيَّن كيف أنَّ هذا (الوَحدَ) قد توصَّل من تلقاء نفسه وبغير مُعين سوى عقله إلى أن يعرف جميعَ ما حولَهُ، من أدنى دَركات الموجودات المادية الحسيَّة، إلى أعلى درجات الوجود العقليِّ.

والقَصة الحَقيقيةُ لا تُمثِّلُ حياةَ فرد، ولكنها تُمثِّلُ تطورَ الإنسانية في أدوارها المختلفة، وقد عَرَضَ «ابنُ طُفيل» أيضاً في رسالة (حيّ بن يقظان) إلى تقسيم العلوم.